الإمام محمد أبو زهرة
ومعالم فكره التربوى

Muhammad Badrun Syahir
Darussalam Institute of Islamic Studies Gontor Ponorogo
Email: tadib.isid@yahoo.com

Abstrak

Imam Muhammad Abu Zahrah (1898 – 1974) adalah salah seorang tokoh yang cukup fenomenal di Mesir pada awal abad ke 20. Keberanian dan ketegasannya dalam bersikap pada saat berhadapan dengan lawan bicara dan lawan politiknya menjadikannya seorang tokoh sangat disegani baik oleh kawan maupun lawan. Pada awalnya (tampak) ia tertarik untuk menjadi qadhi (lawyer). Hal itu terbukti dari kelanjutan studinya setelah menyelesaikan tingkat menengah, dimana dia kemudian melanjutkan ke Sekolah Kehakiman Syariah (Madrasatu al Qadha al Syar'i). Namun karena kecenderungan dan ketertarikannya kepada dunia pendidikan dan pengajaran akhirnya (setamat dari sekolah tersebut) ia justru lebih memilih profesi guru dari pada pengacara (lawyer). Dari pengalamannya menjadi tenaga pengajar (guru dan dosen) selama kurang lebih 37 tahun (1927-1964) dan dari sejumlah buku yang telah ditulisnya (tidak kurang dari 56 judul buku) dapat ditemukan betapa bahwa Imam Abu Zahrah ternyata memiliki teori-teori dan konsep-konsep pendidikan yang sangat menarik.

Dengan menganalisa data yang terkumpul dari sejumlah karya Imam Abu Zahrah secara induktif dan komparatif penulis berupaya menemukan gagasan, konsep dan pemikiran-pemikiran edukatifnya.

Dari upaya tersebut penulis mendapati bahwa Imam Abu Zahrah benar-benar memiliki perhatian yang sangat tinggi terhadap dunia pendidikan. Hal itu terbukti dari sejumlah pemikiran dan pandangan edukatifnya. Menurut Abu Zahrah pendidikan adalah proses pembelajaran berkelanjutan dan berkesinambungan dalam mengeksploarasi seluruh aspek kemanusiaan manusia. Ada tiga unsur penting dalam proses tersebut, yaitu mu'allim (guru, pendidik), muta'allim (murid, anak didik) dan silabi (materi) pendidikan dan pembelajaran serta metode yang tepat. Terkait unsur silabi, Abu Zahrah menekankan pentingnya pengetahuan tentang sejarah, pengetahuan bahasa Arab, dan penguasaan terhadap al Qur'an; bacaan, pemahaman dan penafsirannya. Adapun dalam hal metode pembelajaran Abu Zahrah secara

tegas menekankan pentingnya konsistensi dalam implementasi metode *Targhib wa Tarhib; Reward and Punishment.*

Sebagai sosok pribadi yang unik dan menarik Imam Muhammad Abu Zahrah memang layak untuk dikenali secara lebih serius dan mendalam. Semoga penelitian ini dapat menjadi awal yang baik, sekalipun bukan yang pertama, untuk penelitian lebih lanjut tentang tokoh-tokoh dalam dunia Islam.

Kata Kunci: *pemikiran pendidikan, Abu Zahrah, mu'allim (pendidik), muta'allim (anak didik), materi dan metode pendidikan.*

المقدمة

قضية حياة الإنسان أو مشكلاتها هى قضية متواصلة فى التاريخ البشرى الإنســـانى. فهى و الحياة كالوجهين المتلاصقين فى عملة واحدة، حيث لا ينفصل بعضها عن بعض. كلما حُلَّتْ قضية أو مشكلة تأتى قضية أخرى لابدّ من مواجهتها و تحليلها. و التربية هى أمر من الأمور المتواجدة مدّة تواجد الإنسان فى قيد هذه الحياة. فهى، إذَنْ، تبتدئ منذ وجود الإنسان –وُلد أو لم يولد– وتنتهى بانتهاء حياته.

ترجمة الإمام محمد أبو زهرة

إنه لمن الجدير بالعلم عن ترجمة الإمام ومعرفة سيرته الذاتية كى ينتفى كل من يطالع على أفكاره التربوية من سوء الفهم و يبتعد عن الاستنتاجات السقيمة. بالإضافة إلى ذلك فإننا إذا أحببنا أن نصل إلى ما وصل إليه ساداتنا فعلينا أن نقتدى بهم ونسلك مناهجهم، أو على الأقل أن نعتبر بما مروا عليه من الخبرات و التجارب.

إنه "محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد" المعروف بـــ "أبي زهرة" المولود في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـــ الموافق ٢٩ من مارس ١٨٩٨م، ونشأ في أسرة كريمة تحرص على العلم والتدين.التحق الشيخ بأحد الكتاتيب التي كانت منتشرة في أنحاء مصر تعلم الأطفال وتحفظهم القرآن الكريم، وقد حفظ القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، وكان إحدى منارات العلم في مصر تمتلئ ساحاته بحلق العلم التي يتصدرها فحول العلماء، وكان يطلق عليه الأزهر الثاني ؛ لمكانته الرفيعة.

وقد سيطرت على الطالب النجيب أبي زهرة روح الاعتزاز بالنفس واحترام الحرية والتفكير وكره السيطرة والاستبداد.. وقد عبر أبو زهرة عن هذا الشعور المبكر في حياته بقوله: "ولما أخذت أشدو في طلب العلم وأنا في سن المراهقة.. كنت أفكر: لماذا يوجد الملوك؟ وبأي حق يستعبد الملوك الناس؟ فكان كبر العلماء عندي بمقدار عدم خضوعهم لسيطرة الخديوي الذي كان أمير مصر في ذلك الوقت".[١]

[١] ناصر محمود وهدان، تقديم على الخطيب، **أبو زهرة عالما إسلاميا**، (القاهرة: شركة ناس للطباعة، ١٩٩٦)، ص ١٠ انظر أيضا:www.qur'an-radio.com/pesones3.htm ، أبو زهرة.. عالم جريء جهر بالحق وندد بالباطل

وبعد ثلاث سنوات من الدراسة بالجامع الأحمدي انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٦م بعد اجتيازه اختباراً دقيقاً كان هو أول المتقدمين فيه على الذي أدوا الاختبار مثله بالرغم من صغر سنه وقصر المدة التي قضاها في الدراسة والتعليم، وكانت المدرسة التي أنشأها "محمد عاطف بركات" تعد خريجها لتولي مناصب القضاء الشرعي في المحاكم المصرية. ومكث أبو زهرة في المدرسة ثماني سنوات يواصل حياته الدراسية في جد واجتهاد حتى تخرج فيها سنة ١٩٢٤م، حاصلا على عالمية القضاء الشرعي، ثم اتجه إلى دار العلوم لينال معادلتها سنة ١٩٢٧م فاجتمع له تخصصان قويان لا بد منهما لمن يريد التمكن من علوم الإسلام.

وعقب تخرجه لم يتجه إلى القضاء مثل غيره من زملائه، وإنما عمل في ميدان التعليم، وكان يجد فيه ميْلاً ورغبة، واتفاقًا مع نفسه التي تأخذ بيد من يحتاجون عونًا ومساعدة، وليس هناك أولى من المتعلمين والراغبين في العلم احتياجًا إلى العون، وبعد أن عمل فترة في تدريس العربية بالمدارس الثانوية اختير سنة (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) للعمل في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكُلف بتدريس مادة الخطابة والجدل، فألقى محاضرات ممتازة في أصول الخطابة، وتناول الخطباء في الجاهلية والإسلام، ثم وضع ذلك في كتاب عُدّ الأول من نوعه في اللغة العربية، حيث لم تُفرد الخطابة من قبل بكتاب خاص.

انتقل "أبو زهرة" إلى كلية الحقوق المصرية، لتدريس مادة الخطابة، وكانت الكلية تعنى بهذه المادة عناية فائقة، وتمرن طلابها على المرافعة البليغة والأداء اللغوي الدقيق، وهذا ما يفسر كثرة الخطباء المتمكنين من ناحية الخطابة من خريجي هذه المدرسة العريقة .وبعد فترة قصيرة عهدت إليه الكلية بتدريس مادة الشريعة الإسلامية، تقديرًا منها لعلمه، وزامل في هذا القسم عددًا من فحول الفقهاء من أمثال :أحمد إبراهيم، وفرج السنهوري، وأحمد أبو الفتح، وعبدالوهاب خلاف .

وقد تدرج "أبو زهرة" في كلية الحقوق التي شهدت أخصب فتراته العلمية حتى ترأس قسم الشريعة الإسلامية، وشغل منصب الوكالة فيها، وأحيل إلى التقاعد سنة (١٣٧٨ه/١٩٥٨م)، واختير عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، وقام مع جماعة من العلماء بتأسيس معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، وكان يلقي محاضراته فيه دون أجر، وكان هذا المعهد -الذي لا يزال يعمل حتى الآن- قد أُنشِئ لمن فاته الدراسة في الكليات التي تُعنى بالدراسات الشرعية واللغوية .

كتب الشيخ أبو زهرة مؤلفات كثيرة تمثل ثروة فكرية ضخمة عالج فيها جوانب مختلفة في الفقه الإسلامي، وجلّى بقلمه فيها موضوعات دقيقة؛ فتناول الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه،

والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة .

وتناول ثمانية من أئمة الإسلام وأعلامه الكبار بالترجمة المفصلة التي تظهر جهودهم في الفقه الإسلامي في وضوح وجلاء، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية .

وقد أفرد لكل واحد منهم كتابًا مستقلاً في محاولة رائدة ترسم حياتهم العلمية، وتبرز أفكارهم واجتهاداتهم الفقهية، وتعرض لآثارهم العلمية التي أثرت في مسيرة الفقه الإسلامي. وقد وفق الشيخ أبو زهرة فيما كتب وتناول؛ فهو فقيه متخصص عرف الأصول والفروع وأمعن النظر في مؤلفات الفقه ودانت له أسرارها؛ فمؤرخ الفقهاء المتمكن لا بد أن يكون فقيها لا مؤرخا فحسب يقص علينا حياة المترجم له وإنسانيته وصلته بالعلوم المختلفة.[٢]

وإلى جانب الفقه وقضاياه كان لأبي زهرة جهود طيبة في التفسير والسيرة؛ فكان يفسر القرآن في أعداد مجلة لواء الإسلام الغراء، وأصدر

[٢] أبو بكر عبد الرازق، **أبو زهرة إمام عصره،** (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٥)، ص ٥٠ انظر: **أبو زهرة ,,, عالم يعرف قدره،** في http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/01/article20a.shtml

كتابًا جامعًا بعنوان "المعجزة الكبرى" تناول فيه قضايا نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءته ورسم حروفه وترجمته إلى اللغات الأخرى .

وختم حياته بكتابه خاتم النبيين تناول فيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، معتمدًا فيه على أوثق المصادر التاريخية، وكتب السنة المعتمدة، وقد طبعت هذه السيرة في ثلاثة مجلدات.

معالم فكر الإمام التربوى

وخير ما نبدأ به دراستنا فى فكر الإمام محمد أبو زهرة التربوى هو معرفة مدى فهمه فى النفس البشرية، علما بأنها حقيقة الإنسان و ماهيته، وهى المسؤلة عن كل ما يقوم به الإنسان من الأعمال.

يرى الإمام أن الله تعالى خلق الإنسان و ركب فيه قدرة تمكنه من معرفة الخير والشرّ. وهذه القدرة هى العلم الذى أودعه الله نفس الإنسان يميز به بين الخير والشر. فالطبيعة الإنسانية فيها الخير والشَرّ، والذى يوجه الإنسان إلى أحدهما تلك النزوع و الميول التى أودعها الله نفسه و من خلال العقل الذى منحه الله إياه للتمييز بين الحق والباطل و بين الطيِّب و الخبيث و بين الخير والشرّ. و قد قرّر الإمام أن كل إنسان يولد وفيه استعداد للخير والاتجاه إليه كما أن فيه استعداد للشرّ و الاتجاه إليه. و قد منحه الله قدرة يميز بها بين الخير والشر و بين الحق و الباطل. ولما كان الإنسان كائنا اجتماعيا بالطبع فلا يمكن له أن يعيش منفردا

بعيدا عن بيئته و بعيدا عن المحيطين به. لذلك فإن للبيئة و العصر الذى ينشأ فيه الإنسان أثر فى توجيه الإنسان نحو الخير أو الشر.[٣]

قال الإمام: "إذا كانت كل النفوس متّحدة فى وجود المنازع و أنها مستعدة للخير والشرّ، وإنما التربية و البيئات الاجتماعية والتوجيهات هى التى توجد الاختلاف بين المجتمعات، فلا يقال هذه نفس حرّ وتلك نفس عبد، و لا يقال هذه نفس بدوي و تلك نفس حضري. فالنفوس واحدة و إنما يكون الاختلاف بسبب البيئات و المجتمعات"[٤] فالإنسان يتأثر بمن يتصل بهم و يؤثر فيهم سواء أكانت تربطه بهم صلة قرابة أو أرحام بينهم، أم كانت بينهم مجرّد علاقة على أساس المودة و الاحترام، أم كانت بينهم صلة جوار بحيث ينشأ الأفراد مع بعضهم البعض، و من حلال هذه الصلات فأن الإنسان فى علاقة دائمة مع من حوله.

مفهوم التربية

التربية مصطلح واسع ذو مفهوم متشعب يحتوى على جوانب كثيرة و مجالات متعددة وإن كانت جميعها تهدف إلى تحقيق النمو فى مختلف جوانب النمو الإنسانى التى هيأها الله لها. فالتربية هى إيصال

[٣] أحمد عبد العال محمد، تقديم مصطفى رجب، **الشيخ محمد أبو زهرة و فكره التربوى،** الطبعة الأولى، (القاهرة: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص ١٠١

[٤] محمد أبو زهرة، **الوحدة الإسلامية،** (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٦)، ص ٣

المربى إلى درجة الكمال الإنسانى. قيل أن التربية هى الاصلاح والتغذية والعمل على الإنماء.

والتربية كما ذكر الإمام عملية تنمية و اصلاح و تغذية بصفة مستمرة، و أن الرب هو القائم على الاصلاح و التنمية كما أوضح الإمام؛ "يصح أن نقول إن الرب مِن ربَّه بمعنى نماه، أو من التربية بمعنى الإصلاح و الإنماء، و المعنى فى الحالين أن الله رب العالمين بمعنى مغذيهم ومنميهم والقائم عليهم و المصلح لهم، و المدبر لأمورهم، و هو مربيهم لأنه القائم عليهم والمهذب لهم لما خلق فيهم من عقول مدركة تدرك الخير والشر، و تختار ما تفعل وتحاسب على ما تقدم من خير فتنال به الثواب، و ما تكسب من شر فينالها العقاب"[٥]

و قد جمع الإمام قوله فى التربية بأنها "الإصلاح والتغذية والعمل على الإنشاء". فهذا التعريف وإن كان قصيرا فى ألفاظق و موجزا إلا أنه عام وشامل فى معانيه، حيث يؤكد على أن التربية تهدف إلى إصلاح الناشئة و تقويمهم و رعايتهم و تزويدهم بما يحتاجون إليه فى مختلف مراحل نموهم، بما يسهم فى تحقيق نموهم فى مختلف جوانب النمو بصفة مستمرة.

مراحل التربية

[٥]محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، المجلد الأول، (القاهرة: دار الكر العربى، ١٩٧٦)، ص ٥٨ و انظر: محمد عبد العال، **المرجع السابق**، ص ٢١٤

يرى الإمام أن لتربية الناشئة مراحل لابد من المرور عليها، وهى ثلاثة:

١. مرحلة كشف المواهب والتثقيف الإنسانى

و مرحلة الكشف هى المرحلة الأولى التى يتربى فيها الجميع تربية واحدة، وهى تربية أساسها تهذيب الروح و تقوية اللسان و إنقاظ الحافظة والحث على التفمير والتأمل وبحث كل ما طوى فى عقل الطفل و قلبه من ينابع صالحة ونزوع مختلف. فالتربية فى هذه المرحلة تتجه إلى التربية الروحية والوجدان، وهى التربية التى كان لابد من الدين والعناية به، بل وتلقين الطفل له و طبع مشاعره به.[٦]

و قال الإمام: "الدين لابد منه للإنسان الذى تسمو معانيه الإنسانية عن دركة الحيوان، لأن التدين خاصة من خواص الإنسان، و لابد أن يسلم له دينه من كل اعتداء". فمتى أدرك المتعلم مدى أهمية الدين والحاجة إليه كان حريصا على الالتزام بكل أوامر الدين و اجتناب نواهيه عن طريق ما شرعه الله فى شريعته السامية.

[٦] محمد أبو زهرة، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٥)، ص ١٧٢

لا تقتصر هذه المرحلة على مجرد تهذيب الجانب الوجدانى و تنميته، بل إنها تتجه إلى تقويم وإصلاح اللسان من خلال العناية و الاهتمام باللغة العربية. ذلك لأن هذه اللغة تجمع المسلمين فى الحاضر كما جمعتهم فى الماضى. لذلك ينبغى على المعلمين فى هذه المرحلة أن يتجهوا إلى تعويد المتعلمين على استخدام اللغة العربية و العمل على إصلاح و تقويم ألسنتهم.

فحفظ القرآن فى هذه المرحلة يساعد على تقويم اللسان وإصلاح عيوبه. إن الذين يحفظون القرآن فى مراحلهم الأول تقوَّمت ألسنتهم، لأن الإجبار على الحفظ يقوى الحافظة ويرهفها. وهو أيضا يقوى الإرادة و يشحذها إذ أن الإرادة فى الطفل تقوى بتعوده قهر رغباته و أهوائه.

فالتربية فى هذه المرحلة عامة، تتجه إلى تربية كافة جوانب النمو سواء الجسمية أم العقلية أم الخلقية أم الاجتماعية بما يسهم فى تحقيق كافة أهداف التربية فى هذه المرحلة. بذلك يجتمع فى الغلام منذ نعومة أظفاره دين قوي وعقل قوي و إرادة قوية و جسم قوي، و تكون بها كل المعانى الإنسانية فيه قوية متناسقة غير متنافرة.

٢. مرحلة التوجيه

تقوم هذه المرحلة على توزيع المهام والاختصاصات و الأعمال، كل حسبَ قدراته وميوله و مواهبه، فهى مرحلة توجيه للإنسان فى اختيار ما يتلاءم استعداداته. فهذه المرحلة هى التى يتم فيها توجيه الإنسان إلى مايتناسب معه من الأعمال، فيتحدد من خلالها ما يمكن أن يمتهنه الإنسان مستقبلا. لذلك فإن الطفل فى هذه المرحلة فى حاجة إلى من يوجهه و يرشده إلى نوعية الدراسة التى تتناسب مع ميوله وقدرته. فمن كانت ميوله تدفعه إلى مواصلة التعلم ومواهبه تؤهله للاستمرار فيه سار إلى المرحلة التى تليها وهى مرحلة التعمق.

٣. مرحلة التعمق والتخصص

لا يصل إلى هذه المرحلة كل الأفراد الذين تجاوزوا المرحلة الأول والثانية بل يصل إليها مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون القدرات و الإمكانات والميول و الاستعدادات ما يؤهلهم للتخصص و التعمق فى دراسة علم من العلوم، و بالتالى إلى مهنة من المهن.[٧]

وقد أكّد الإمام على ضرورة تضافر كافة الجهود للكشف عن هؤلاء الذين تؤهلهم مواهبهم وميولهم للسير فى هذه المرحلة

[٧] أحمد عبد العال محمد، **المرجع السابق**، ص ٢٤٢

من التعمق و التخصص و النبوغ، بحيث يتم فى هذه المرحلة توزيع الأفراد الدارسة مختلف العلوم و الفنون، وبحيث يتخصص كل فرد فى دراسة علم من العلوم حتى يتم إعداده للإلتزام بما تخصص فيه من الأعمال.

وهذه المرحلة -كما قرر الإمام- لا تقف عند حد معين و درجة واحدة و إنما درجات متفاوتة يميزها العمل و الإنتاج و الانصراف العملى، و منها يكون المهندسون و الأطباء والقضاة و الفقهاء و غيرهم من الذين يتولون الأعمال الرئيسية فى المجتمع. لأن المجتمع فى حاجة إلى أعداد كبيرة من هؤلاء. إن الذين يكونون فى أعلى القمة هم الذين تعيش الإنسانية على اختراعاتهم وكشفهم لنوامس الكون، و إنهم فى كل أمة عدد قليل، و بمقدار قوة تفكيرهم يكون تقدم الأمة، فلا يقاس تقدمها بعددهم و إنما يقاس بطاقاتهم.[٨]

وتوجيه الأفراد فى هذه المرحلة نحو التخصص والتعمق فى علم من العلوم لايكون بطريق الجبر و الإكراه، ولكنه فى المقام الأول أمر اختيارى يراعى فيه ميول الشخص واتجاهاته. و قد قال الإمام: "إن التوزيع بهذه القوى يكون بالميول أولا، و القدرة على

[٨] محمد أبو زهرة، **التكافل الاجتماعى فى الإسلام**، (القاهرة: دار الفكر العربى، د.ت.)، ص ٥٠

ما اتجه إليه ثانيا. فهونوع من الانتخاب الطبيعى، لا التوجيه القسرى. ولا يكلف أحد نفسه ضد طباعه وضد قدرته".

مبادئ التربية

و أما مبادئ التربية الإسلامية التى وجدها الباحث من خلال دراسته فى مؤلفات الإمام محمد أبو زهرة و كتاباته فهى:

١. مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين

اعتمادا على ما ذهب إليه الإمام فى الطبيعة البشرية، حيث أن الله تعالى قد خلق الإنسان و ميَّزه على سائر المخلوقات بأن أودع فيه قدرة و استعدادا يمكنه من المعرفة والعلم بالأسماء و الأجناس، كما وهب الإنسان مجموعة من الأدوات سواء العقل أو الحواس التى تمكنه من إدراك حقيقة الأشياء و الأسماء، أوجب على الإنسان توظيف هذه الأدوات حتى تتحقق الحكمة من خلافة الله للإنسان على هذه الأرض. و قد أكّد الإمام أن اختلاف الناس وتفاوتهم فى هذه القدرات و الاستعدادات يحدث نوعا من التكامل و التنسيق بين بنى الإنسان، بحيث يؤدى كل واحد منهم عملا معينا يتفق مع قدراته و مواهبه وميوله.[٩]

[٩] أحمد عبد العال محمد، **المرجع السابق**، ص ٢٤٨

فمراعاة ما بين المتعلمين من فروق فردية فى القدرات و الاستعدادات وفى إدراكهم العقلى من أبرز المبادئ التى تنادى بها التربية الحديثة. ولقد كان للإسلام فضل السبق فى تطبيق هذا المبدأ أو الأخذ به. فتكليف الإنسان من الله تعالى لم يكن إلا فى حدود طاقته و قدرته. فالناس متفاوتون فى التكليفات الشرعية مراعاة للفروق الفردية بين بنى البشر.

قال الإمام: "بعض الناس قد أتاه الله عقلا راجحا وبصيرة نافذة و فكرا ثاقبا يدرك الموضوع من كل نواحيه ويلم بظواهره و خوافيه. و بعضهم فيه قصور النظر، فلا يستطيع إحاطة الموضوع بنظرة شاملة و فيه قصور فكر فلا يدأب فى البحث عن الحقيقة إلى النهاية، ولابد أن تختلف النتائج التى يحصل عليها من كان على هذه الشاكلة عما يصل إليه من كان من الصنف الأول".[١٠]

و يدخل فى عموم الفروق الفردية التى ينبغى مراعاتها فيما بين الأفراد جانب هام ينبغى مراعاته و الأخذ به، وهو الاختلاف الفكر بين الأفراد. فكل فرد يختلف عن الآخر من حيث أفكاره فى إدراك حقائق الأشياء و تفسيراته حول موضوع معيّن. فاختلاف الناس فى

[١٠] محمد أبو زهرة، **تاريخ الجدل**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٣)، ص ٩ – ١٠

تفكيرهم من الحقائق الثابتة. و هذا الاختلاف -كما ذكر الإمام- يرجع إلى مجموعة من الأسباب، أهمها:

أ. غموض الموضوع فى ذاته

ب.غموض موضع التراع

ج. اختلاف الرغبات و الشهوات

د. اختلاف الاتجاه و المدارك

ه. تقليد السابقين و التعصب

هذه هى بعض الأسباب التى ذكرها الإمام و التى تؤدى إلى الاختلاف الفكرى بين الناس فى إدراك الحقيقة. و التربية الإسلامية منذ العصور القديمة قد راعت هذا الاختلاف وهدفت إلى الاستفادة من هذا الاختلاف فى تنمية قدرات الأفراد العقلية و اتساع أفقهم وعلوّ تفكيرهم و تدريبهم على التعبير عن وجهة نظرهم و إبداء آرائهم فيما يتعرضون له من مسائل و قضايا. فعلى القائمين على أمر التربية و التعليم مراعاة هذا الاختلاف و العمل على حسن استغلاله بما يسهم فى تحقيق تنمية شاملة للمتعلمين فى مختلف فروع العلم والمعرفة.[١١]

٢. الحرية و الديموقراطية فى التعليم

[١١] أحمد عبد العال محمد، **المرجع السابق**، ص ٢٥١ – ٢٥٣

الحرية و الديموقراطية فى التعليم من المبادئ الهامة التى حرضت عليها التربية الإسلامية. وهذه الحرية تقوم على أساس ترك حرية الاختيار للمتعلم من حيث نوعية التعليم التى تتفق مع ميوله و اتجاهاته، وتحقق أهدافه و رغباته فى ضوء بعض التوجيهات الخارجية من المحيطين به. وقد قال الإمام: "اتسم التعليم فى الإسلام بالحرية, فقد كان كل امرئ يعنى بتربية ولده بالطريقة التى يرتضيها، و لا يرهقه أحد فى أي أمر من أمور ولده. فمنهم من كان يحضر المعلمين لولده ومنهم من كان يرسل ولده إلى مدارس صغيرة، وهى ما يسمى فى الماضى بالكتاتيب. حتى إذا اشتد الغلام و ترعرع اتجه إلى طلب العلم من رجاله، فهذا يتجه إلى الحديث و يطلبه من مظانه. فهذا يتجه إلى الفقه فيلتزم فقيها يتخرج عليه، ولكنه لا ينقطع عن غيره انقطاعا تاما...."[١٢]

ومن الأمور المستفادة فى العملية التعليمية فى ظل تلك الحرية تنمية القدرة على تحمل المسؤلية و الاعتماد على النفس عند المتعلمين، لأن هذه الحرية تلزم صاحبها بالنتائج التى تترتب على اختياره. فهى ليست حرية مطلقة يختار فيها المتعلم ما يشاء دون الالتزام بنتائج اختياره.

[١٢] **نفس المرجع**، ص ٢٥٦ و انظر: محمد أبو زهرة، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، ص ١٧٦

٣. تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم

يقوم التعليم فى الإسلام على أساس المساواة بين جميع الأشخاص. فقدسوّى الإسلام بين الأغنياء و الفقراء فى حق التعليم. و مهد لهؤلاء و أولئك الفرص المناسبة لتعليمهم، فكل إنسان له مواهبه و ميوله واستعداداته التى تؤهله إلى دراسة فرع معين من فروع العلم والمعرفة، وبذلك تتحقق المساواة و تكافؤ الفرص فى التعليم.

وليس تكافؤ الفرص أن يدفع الكل إلى التعليم فى كل مرحلة دفعا، سواء أكانت مواهبه تسعفه أم لم تكن مواهبه مسعفة له بل تكافؤ الفرص أن يمكن كل ذى موهبة من أن تظهر مواهبه و تنكشف، ثم يوجه إلى ما يتفق مع تلك المواهب،[١٣] حيث أن مواهب الشخص هى الأساس فى توجيه الشخص نحو مواصلة التعليم و السير فى مراحله المختلفة. كل حسب قدراته و مواهبه، لأن مواهب العالم -كما قرر الإمام- هى الدعامة الأولى لطلب العلم، وهى المفتاح الذى يفتح به باب المعرفة، و هى الوعاء الذى ينبثق منه نور العلم.[١٤]

---

[١٣] محمد أبو زهرة، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، ص ١٧٨

[١٤] محمد أبو زهرة، **ابن حزم حياته و عصره؛ آراؤه و فقهه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٤)، ص ٦٦

٤. مراعاة آداب التعليم و التعلم

إنه من الضرورى مراعاة جملة من الآداب التى تسهم فى نجاح عملية التعليم والتى تسهم فى تنمية العلاقات القائمة بين المتعلمين. و قد أكّد الإمام أن حسن معاملة المتعلمين والرفق بهم لها أكبر الأثر عليهم، لأن ذلك يقرب النفوس و يؤلفها. و إذا تألفت سهل وصول الحق إليها و دخل القلوب من أبوابها. فحسن معاملة المتعلمين والرفق بهم تؤدى إلى تهيئتهم و شعورهم بالراحة النفسية مما ينعكس أثره على تعلمهم و ثقتهم فى المعلم وفى أنفسهم، بخلاف القسوة والغلظة فإنها تؤدى إلى خوف المتعلمين و رهبتهم، و محاولة الانصراف و الهروب بصفة مستمرة عن مواصلة التعلم.[١٥]

إن التأديب ضرورة ويجب أن تقوى بها إرادة الطفل لا هواه. وتقوية الإرادة بتنبيهه بقوة ما هو صالح ولو بشئ من الحزم من غير عنف واضح يجعله فى حال رهيبة دائما، حتى يقدم على ما يفعل وهو يعلم نتائجه، و إن الذين يرغبون من غير حزم ينشئون ضعيفى الإرادة تتحكم بهم أهواؤهم، ويجب على المربى أن يجمع بين الترغيب و الحزم، حتى لا تتمايع نفس الصبى، وحتى لا تكره فتسخط.

[١٥] أحمد عبد العال محمد، **المرجع السابق**، ص ٢٦١

و من جملة الآداب التى أكّد الإمام على ضرورة مراعاتها فى عملية التعليم والتعلم مراعاة النهى عن الجدل. وقد فسر الإمام قوله تعالى: ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ .... ﴿١٢٥﴾ أى بالطريقة التى هى أحسن فى التوصيل إلى الإقناع، فإن لم يكن إقناع فتقريب، فإن لم يكن تقريب لا يكن تنفير. فهو يبين لهم الحق من غير مخاشنة وإن خاشنوه وفى غير غضب، و إن غاضبوه فالنبى صلى الله عليه وسلم لا يغضب ولكن يهدى فلا يفجؤهم بما لا يحبون بل يأتيهم بالحق مما يحبون ما دام لم يكن باطلا، و لا يكون جافيا فى قول أو خلق، و لا يكون غليظا بادى الغلظة، بل يكون ودودا بادى المودة من غير أن يكون مداهنا فى حق.[١٦]

مجالات التربية

ينبغى أن تتجه التربية إلى تنمية جميع الجوانب الشخصية للفرد، سواء كانت روحية أم جسمية أم عقلية أم اجتماعية، فى ضوء ما نادى به الإسلام من تعاليم و قيم و مبادئ حتى تكون تربيتنا للفرد تربية متكاملة.

[١٦] محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، المجلد الثامن، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٤)، ص ٤٣٠٤-٤٣٠٥

١. التربية الروحية (الاعتقادية)

تعمل التربية الروحية على تثبيت العقيدة فى النفوس بحيث لا يؤثر فيها ما يحيط بها من تحديات. فالعقيدة لا تنتزع من النفوس انتزاعا و تستل من القلوب كما يستل دقيق الشعر من مما يعلق به و يدخل فى نسيجه. إن العقائد التى تستمكن فى القلوب و تستقر فى ثنايا النفس لا تنتزع منها بفعل قاهر مهما تكن سطوته، و لا بطغيان جبار مهما تكن قوته، لأن العقائد تتصل بالنفوس و الأرواح.[١٧]

تبدأ هذه التربية من الأسرة التى هى أول وعاء يتلقى الإنسان منذ ولادته. يشعر الإنسان من داخلها بالراحة و الأمان، و هى التى تعمل على تربية الفرد و إعداده للحياة الاجتماعية. وهى -كما وصفها الإمام- خلية التكوين الإنسانى و خلية البناء الاجتماعى، و المهد الذى يتربى فيه النوع تربيةً يكون بها الإلف و الائتلاف مع المجتمع الذى ينشأ فيه. فالأسرة هى نواة المجتمع، و هى الأساس الذى يقوم عليه البناء الاجتماعى. فإذا صلحت الأسر و استقامت حالها فى تنشأة أبنائها و تربيتهم تربية اجتماعية سليمة فإن ذلك

[١٧] محمد أبو زهرة، **مقارنة الأديان والديانات القديمة**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٥)، ص ٢٣

يساعد على بناء اجتماعى سليم، و لا يتكون بناء قوي إلا من لبنات قوية.[١٨]

ولا تقتصر التربية الاعتقادية على العلاقات داخل الأسرة فقط، بل لابد من بيئة صالحة ومجتمع قوي يقوم على أساس تربية الأفراد على التآلف والتعاون. والمجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام مجتمع فريد ومتميز عن غيره من المجتمعات الإنسانية سواء فى تكوينه أو فى نظامه. فقد اشتمل الإسلام على كثير من التشريعات التى تنتظم فى ضوئها الحياة الاجتماعية، و تحقق قدرا من التعاون و التآلف بين أفراده.

و التربية الروحية أو الاعتقادية هى الجانب الأساسى فى بناء الشخصية و تنميتها، ولذلك ينبغى على المربين الاهتمام باجانب الاعتقادى لدى المتعلمين منذ الصغر لأن تنشئتهم على قوة الاعتقاد و سلامة النية تعطى الإنسان قوة و جرأة و عزّة و قدرة على تحمّل المسؤلية.

٢. التربية الجسمية

إن صحة الجسم و سلامته أمر لابد منه فى حياة كل فرد من الأفراد. ولقد اهتم الإسلام بالجسم الإنسانى و اعتنى به عناية خاصة

[١٨] محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، المجلد الأول، ص ٢٩١

بحيث حدد له أنواع الأطعمة التى يقبل عليها ويأكل منها. فينبغى على المربين العناية بالصحة الجسمية للمتعلمين من خلال تدريبهم على العادات الصحية فى الأكل و الشرب و الوقاية من الأمراض، و العناية بممارسة أنواع مختلفة من فنون الرياضة، واجتناب العادات غير الصحية.

فالعناية و الاهتمام بالتربية الصحية للمتعلمين بما يحقق تربية جسمية سليمة سواء من خلال الأكل أو الشرب أو الملبس أو المسكن من شأنه أن يسهم فى تحقيق بقية جوانب التربية الأخرى، فضلا عن تحقيق كافة أهداف العملية التعليمية نظرا لأن صحة الجسم تعين الفرد على القيام بما كلف به من أعمال، و القدرة على بذل الجهد. و فى هذا تحقيق مصلحة الفرد والنهوض بالمجتمع و الحياة الاجتماعية. "لأنه من المعلوم أن الأمة إذا تمتع أفرادها بعقل سليم وجسم قوي و إرادة قوية و عزيمة جبارة و شجاعة فائقة و وعي كامل فإنها ستكون المبرزة فى الانتاج و السباقة إلى الحضارة و الأخذ بأسباب النصر و المجد، و العاملة على تحقيق العزة الخالدة للإسلام و المسلمين و البشرية جمعاء".[١٩]

[١٩] فؤاد محمد موسى، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامى،** (القاهرة: دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ١٤٦

٣. التربية الأخلاقية

التربية الأخلاقية من أهم مجالات التربية الإسلامية، حيث أن التربية الإسلامية فى أحد جوانبها تهدف إلى تكوين شخصية إسلامية تتحلى بالأخلاق الفاضلة و تتخلى عن الرذائل. فالتربية الأخلاقية وسيلة لبناء خير فرد وخير مجتمع و خير حضارة. فالتزام الفضيلة و حسن الخلق هو الأساس الذى تبنى عليه المجتمعات، فكلَّما كانت العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع على أساس مكارم الأخلاق كان لذلك أكبر الأثر فى تقوية و تدعيم هذه العلاقات.

والأخلاق فى الشريعة الإسلامية عامة و شاملة، لأنها تقوم على الفضيلة و مشتقة من الفطرة الإنسانية. فلا تخص إقليما دون إقليم و لا شعبا دون شعب. و إن ما يكون شرًّا بين الآحاد فى شعب واحد يكون أيضا شرّا بين الجماعات و الدُّوَل. و ما يكون شرًّا فى وطنك يكون شرّا أيضا إن صنعته فى غير وطنك، لأن الفضيلة بمقتضى قواعد السلوك الفاضل حق لكل إنسان يستحقها بمقتضى إنسانيته التى هى وصف مشترك بين كل أبناء آدم.[٢٠]

ينبغى على المربين و أولياء الأمور تنشئة المتعلمين و تربيتهم على الالتزام بالأخلاق الفاضلة من خلال تدريبهم على الالتزام بها و

[٢٠] محمد أبو زهرة، **العلاقات الدولية فى الإسلام**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٥)، ص ٣٤

تعويدهم عليها، و من خلال القدوة الحسنة من أنفسهم، و عن طريق شرح و توضيح و بيان الحكمة فى كثير من الأحكام و التكليفات التى رسمها الشارع الإسلامى من خلال علم الأخلاق و ما اشتمل عليه من جملة الحقائق والمعلومات التى تفيد الدارس فى هذا الجانب.

٤. التربية العقلية

العقل هو أداة المعرفة و العلم، عن طريقه يتمكن الإنسان من فهم و إدراك ما حوله. العقل البشرى طلعة يتطلع إلى علم ما لم يعلم. اختص الله تعالى الإنسان بالعقل ليكون خليفته فى الأرض. و العقل الإنسان هو مناط التكليف فى الإنسان، فبدون العقل لا يكون التكليف. يرى الإمام أن العقل ينمو و يتدرج وأنه يسير فى الكمال منذ الصغر، وأنه لا يصل إلى حدّ التكليف إلا إذا اكتمل و تكامل نموُّه وأن نموّ العقل مندرجا أمر خفيّ لأنه يحدث آناً بعد آن حتى يظهر فى نهاية تدرجه كاملا.[٢١]

ينبغى على المربين تربية هؤلاء المتعلمين تربية عقلية تعمل على علوّ تفكيرهم واتساع مداركهم وقدرة على ممارسة أساليب الحوار

[٢١] محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٤)، ص ٢٩٨

والمناقشة والمناظرة. فالعقل هو من أهم الطاقات الإنسانية التى ينبغى على المربين تنميتها من خلال كافة الأساليب و الوسائل, فتربية المتعلمين على القدرة على الاستدلال و الحوار هى أبرز الطرق فى تنمية معارفهم و معلوماتهم وتربيتهم على الصبر وقوة الاحتمال فى طلب العلم و المعرفة. بالإضافة إلى ذلك فإنه ينبغى تزويد المتعلمين بما يسهم فى المحافظة على العقل و تعريفهم بمصادر الخطر التى يمكن أن تضر العقل و تمنعه من أداء مهامه.

أركان العملية التربوية عند الإمام

١. العلم

تقوم رسالة الإسلام على العلم و المعرفة. و لقد اهتم الإسلام بموقف العلم والعلماء فى تعاليمه و تشريعاته. و كان لزاما على العلماء أن يعلموا الناس ما علموا حتى يكون الناس على بيِّنةٍ من الحق و حتى يدركوا حقائق الأشياء و ما يشتمل عليه الكون من أسرار، كلها تدل على وحدانية الله و قدرته.

و العلم، كما أوضح الإمام لا نهاية له و ليس له حدود يقف عندها الإنسان. فكلما تعمق الإنسان فى مختلف العلوم كلما جدت أمامه مجالات أخرى من العلم. فبرغم اطلاعه و بحثه فإنه لا يشبع

نهمته فى العلم و رغبته فيه. والحاجة إلى العلم شئ معنوي لا يمكن رؤيبه أو لمسه، لكنها تظهر آثاره على الإنسان فى شعوره بالراحة النفسية لحصول على الشبع المعنوى.

كانت قوة الأمم فى عصرنا الحاضر تقاس بما لديها من التقدم العلمى، لأن هذا التقدم هو أساس كل شئ. فكان لزاما على الأمة الإسلامية التسلح بالعلم حتى تكون الأمة الإسلامية بين الأمم قوية و عزيزة تستغنى بعلمها و علمائها عن غيرها من الأمم.

٢. المتعلم

المتعلم هو العنصر الرئيسى الذى من أجله تقوم العملية التعليمية. بل هو مِحْوَرٌ لها وأساسها الذى لا تتم هذه العملية بدونه. و لتسير هذه العملية كما ينبغى فلابد من توافر مجموعة من الصفات والمقومات لدى هؤلاء المتعلمين. و من الصفات الواجب توافرها هى كالآتى:

أ. صحة الجسم وقوته

ترتبط الصحة الجسمية بالصحة النفسية، فلا غنى للجسم عن صحة النفس ولا غنى للنفس عن صحة الجسم. فقد يؤدى قصور بعض أعضاء الجسم أو خلل فى وظائفها إلى تغير فى شخصية الطفل واضطراب سلوكه و ظهور بعض المشكلات السلوكية عند

الأطفال, قال الإمام: "إن اعتدال الجسم وتناسب أجزائه يدل فى الجملة على استقامة العقول و النفوس. و إن المزاج النفسى يصحبه غالبا مزاج جسمى كامل، متناسق فى فى تركيبه الظاهر والداخل...."[٢٢] ولا يعنى هذا أن الأشخاص الذين يعانون من العيوب الجسمية ينبغى عزلهم عن الآخرين.

و من الجدير بالذكر أن قوّة الجسم تؤدى إلى قوة الإرادة و القدرة على الاحتمال وتحمل المشاق فى سبيل تحقيق الأهداف. فكثيرا ما يكون ضعف الإرادة من ضعف الجسم. والاعتبار فى ذلك أن قوّة الجسم خادمة لقوة النفس وليست مقصودة لذاتها.

ب. الإخلاص فى طلب العلم والتفرغ له

إن الإخلاص فى طلب العلم أمر لابد منه، بحيث يكون طالب العلم نيته مخلصة وقاصدا به وجه الله تعالى لا لهدف آخر دنيوى من سلطة أو سلطان أو جاه أو مال أو شهرة أو رياء. بهذا الإخلاص يتمكن طالب العلم من الوصول إلى الحقيقة.

[٢٢] محمد أبو زهرة، **خاتم النبيين**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٣)، ص ٢٣٤ انظر: محمد عوده و كمال إبراهيم يوسف، **الصحة النفسية فى الإسلام و علم النفس**، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٤)، ص ٧، ٢٥٣

و إذا كان الإخلاص يُمكّن صاحبه من الوصول إلى الحقيقة بشكل مستقيم فإن الإخلاص يساعد صاحبه على الصبر و طول الأمد وقوّة الاحتمال فى طلب الحقيقة. بالإضافة إلى ذلك ينبغى على طالب العلم التفرغ التام فى طلبه للعلم، فلا يشغله أي أمر عن ذلك حتى لا ينصرف ذهنه و تفكيره عن العلم و تفصيله.

فعلى المتعلم ضرورة الانصراف التام للعلم و المداومة عليه فى كل وقت لأن العلم يحتاج إلى دراسة و اطلاع بشكل مستمر، و يحتاج إلى صبر وقوّة احتمال من المتعلم. والتفرغ من جانب المتعلم يمكنه من تنظيم أوقاته وحسن استغلالها والاطلاع على أكبر قدر من المعارف والمعلومات.

ج. الصبر و قوة الاحتمال

و إذا كان الصبر من الصفات التى ينبغى أن يتصف بها المعلم حتى يتمكن من أداء عمله، فإن الصبر من جانب المتعلم أمر لابد منه فى طلب العلم و تحصيله. لأن طلب العلم له كثير من المشاق و المصاعب التى تواجه المتعلم.

فالمتعلم فى تحصيل العلم يواجه العديد من الصعوبات و المشكلات التى تتطلب منه ضرورة الصبر وقوة الاحتمال حتى يتسنى له القدرة على مواجهتها و حلّها بشكل علمي سليم. وكذلك ينبغى

على المتعلم ضرورة الالتزام بما يقوله المعلم، لأن فى ذلك مصلحة له.

٣. المعلم

المعلم عنصر أساسى من عناصر العملية التعليمية و محور هام من أبرز محاورها برغم التقدم العلمى و تطوير أساليب التعليم و وسائله. فى ظل هذه الأمور فإن المتعلم فى حاجة ماسة إلى من يوجهه و يرشده إلى أفضل الطرق التى تمكنه من تحصيل العلم والمعرفة. فالمعلم هو الذى يقوم بتزويد المتعلمين بكثير من المعارف و المعلومات وبالاهتمام بتربيتهم وتنشئتهم بالأخلاق الفاضلة.

علما بأهمية المعلم و دوره فى العملية التعليمية فلابد من إعداد المعلمين و تطويرهم حتى يتلاءمون مع التطور العلمى السريع و يتواكبون ذلك الانفجار المعرفى. بالإضافة إلى ذلك فإنه لخطورة الدور الذى يلعبه المعلم فى المدرسة و المجتمع (لأن المعلم الحقيقى هو معلم فى أي مكان و زمان) لا بد من توافر مجموعة من الخصائص التى تؤهّله للعيام بالدزر المنوط به، و الذى أسند إليه المجتمع.

أكّد الإمام على ضرورة توافر مجموعة من الصفات التى يتصف بها كل من يقوم بإضلاح الجماهير كالمعلم. و هذه

الصفات إما أن تكون هبات من الله تعالى يهبها لمن يشاء من خلقه و إما أن تكون مكتسبة بالمران و التربية و التوجيه و التروع إليها. [٢٣] ومن تلك الصفات هى:

أ. الاخلاص فى العمل

الاخلاص من الصفات الأساسية التى ينبغى أن يتحلى بها كل إنسان فى جميع أفعاله و أقواله بل و تصرفاته حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.

الاخلاص فى طلب الحقيقة يجعل الفرد يتجه إلى الطريق المستقيم الذى لا انحراف فيه عن الصواب. فيتجه إليه بفكره و عقله و كل جوارحه. قال الإمام: " و الاخلاص نقذف فى قلب المخلص بنور الحقيقة و يجعله يدرك الأمور إدراكا مستقيما لا عوج فيه. و لا شئ يضلل العقل و يجعله يعوج عن طريق الهداية أكثر من الغرض و الهوى وإلتواء المقاصد. فالاتجاه إذا كان مستقيما مخلصا يجعل الفكر مستقيما و العمل مستقيما و القول مستقيما". [٢٤]

[٢٣] محمد أبو زهرة، **ابن حنبل؛ حياته و عصره ، آراؤه و فقهه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦١)، ص ٩٠

[٢٤] محمد أبو زهرة، **ابن تيمية حياته و عصره، آراؤه و فقهه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٠)، ص ٨٣

و يجب على المعلم أن يكون مخلصا فى عمله حتى ينجح فى مهنته و فى أداء رسالته. لأن الإخلاص أكسب ذكاءا فى القلب و قوة فى النفس و تباعدا عن الدنايا.

ب. الهيبة الشخصية و النفوذ

قال الإمام: "الهيبة الشخصية منحة من الله تعالى منحها لبعض خلقه فيكون فى الشخص قوة روح و قوة شخص تنبعث منه قدرة على التأثير فى نفوس سامعيه ويكون لكلامه روعة و لنظراته نفاذ إلى النفس. و قد يفقد الشخص حريته بين يديه من غير سلطان قاهر و لا قوة مادية مجبرة ملزمة، بل الإلزام ينبعث من النفس"[٢٥] والهيبة ليست قوة جسمية فقط و لكنها قوة روحية و قوة شخصية حيث يقدر بها الفرد على التأثير فى الآخرين من خلال حديثه أو من خلال نظراته.

للهيبة أسباب منها البسطة فى العلم و البسطة فى الجسم. و البسطة فى العلم معناها الاتساع فى الأفق و التجارب، و قوة العقل و التدبير، و الإحكام فى التفكير. و أما بسطة الجسم فليس بمعنى كثرة اللحم و الشحم و إنما سبط العظام و مديد القامة,

[٢٥] نفس المرجع، ص ٩١

بعيد ما بين المنكبين.[٢٦] و من أسباب الهيبة أيضا حسن السمعة و بعد الصيت وجميل الذكر.

و إذا توافرت فى المعلم هذه الصفات كان أكبر أثرا و تأثيرا فى نفوس المتعلمين وكان أكثر مهابة فى نظرهم. ولذلك كان من الضرورى عند اختيار المعلمين و إعدادهم مراعاة توافر هذه الصفات.

ج. قوة الفراسة

قال الإمام: "الفراسة من أقوى الصفات تأثيرا وهى من أخص صفات الذين يقودون الجماهير بفكرة أو مذهب أو رأي. إذ بالفراسة يعرفون عيوب من يخاطبونهم و يعرفون ما يمكن أن يطبوا من دواء، و يعرفون منازع النفوس و اتجاهاتها و طرق حملها على الاستقامة" [٢٧] و لا تقتصر فراسة المعلم على مجرد فهم قدرات المتعلمين و ميولهم فقط و مخاطبة كل منهم على مقدار طاقته، بل إنها صفة تمكن المتعلم من المجادلة و المناظرة و التصدى بالحجة و الدليل من خلال الحوار و المناقشة.

---

[٢٦] محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، الدزؤ ٢، ص ٨٩٢

[٢٧] محمد أبو زهرة، **الإمام الصادق؛ حياته و عصره- آراؤه و فكره،** (القاهرة: درا الفكر العربى، ١٩٩٤)، ص ٨٥

فالفراسة الصادقة صفة ينبغى أن يتصف بها كل معلم حتى يتمكن من فهم طلابه ومعرفة قدراتهم و إمكاناتهم. قال الإمام: "الفراسة النافدة إلى نفوس الأشخاص التى تكشف كنه أمورهم من الصفات التى يعلو بها كل من يتصدى لإرشاد الناس و تعليمهم. فإنه يستطيع أن يعرف خبايا أمراضهم فيعطيهم الدواء الشافى و الغذاء الصالح الذى يقوى على هضمه و يتم به شفاء النفس و سلامتها و قوتها"[٢٨] فإذا اتصف المعلم بهذه الصفة كان أبرز من غيره من المعلمين وحاز مكانة سامية و نفوذا سامخة بين طلابه.

د. الشجاعة و الحزم

إنه من اللازم أن يكون المعلم أسوة حسنة و قدوة صالحة لأبنائه الطلبة. فلأجل ذلك لا بد أن يتصف المعلم بالشجاعة و الجرأة فى الحق. لأن ذلك يساعد ه على تربية جيل من الشباب. و الشجاع عند الإمام هو الذى يقدّر الأمور، و يتعرف نتائجها و غاياتها.

و الشجاعة كما أوضح الإمام ليست تهورا و اندفاعا –كما يدعى البعض– و إنما صفة يتحلى بها الشخص الذى لديه قدرة

[٢٨] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (القاهرة: درا الفكر العربى، د ت)، ص ٤٠٩

على تقدير المواقف و الأمور، و لديه بصيرة نافذة تدرك عواقب الأمور بحيث يتصرف حسب ظروف الموقف. و ليست الشجاعة هى القوة و الشدة التى تؤدى إلى الغلظة و الجفوة.

و قد أكد الشيخ بأن الشجاعة لا تقتضى عدم الحرص و الحذر من الإنسان، لأن الحذر مسيطر عليها، و هو يدفعها و يحكمها. بل و قد يكون الخوف مع الشجاعة. فالشجاع قد يتردد قبل أن يقدم فيوازن بين العمل و نتائجه و الإقدام و غاياته. وليس الشجاع هو الذى لا يخاف قط ولكن الشجاع من يتغلب على بواعثه و يتقدم فى تدبير محكم و صبر و قوة احتمال.

ه. الالتزام بمكارم الأخلاق

و من مكارم الأخلاق التى لا بد من أن يتصف بها المعلم هو الحياء، الذى هو شعبة من شعب الإيمان. قال الإمام: "الحياء صفة نفسية يظهر أثرها فى العمل على ألا يفاجئ الناس بما ينفرهم أو بما لا يألفون. لا يظهر منه ما يخالف الفضيلة، فلا يعلن رذيلة. و لا أمر لا يتلقاه الناس بالقبول و يعمل على إرضاء النفس الجماعية ما لم يكن إثما"[٢٩] فالحياء خلق إسلامى يهذّب الفرد فى تصرفاته و أفعاله فى كل ما يصدر عنه نحو الآخرين، و يوجه إلى ما يحقق

[٢٩] محمد أبو زهرة، **خاتم النبيين،** (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٣)، ص ١٨٦

المصلحة الشخصية و الجماعية فى إطار من الذوق و حسن المعاملة و احترام الآخرين.

فالمعلم الذى يتسم بالحياء يكون أكثر قبولا و أكثر حبا من تلاميذه، فهم يألفونه ويحاولون التقرب منه و الاستفادة منه و التأسى به. فتجتمع النفوس حوله و يكون كلامه موضع قبول و احترام من جانب تلاميذه، و تكون أقواله و أفعاله و كل تصرفاته موضع أسوة و قدوة لمن حوله.[٣٠]

نتيجة البحث

هذا هو البحث الذى وصل إليه الباحث فيما يتعلق بناحية من النواحى المتميزة التى تجعل الإمام محمد أبو زهرة رائدا من رواد علماء عصره و إماما من أئمة المسلمين. و مما أشار إليه هذا البحث استنتج الباحث هذه الأمور الآتية:

١. التربية بمفهومها العام الشامل تهدف إلى إصلاح الناشئة و العمل على تحقيق النمو فى مختلف نواحى التكوين الإنسانى بصفة متواصلة مستمرة.
٢. من مجالات التربية هى:

[٣٠] أحمد عبد العال، **المرجع السابق**، ص ٣٠٠

- التربية الروحية التى تقوم على إخلاص النية و سلامة العقيدة.
- التربية الجسمية التى تهتم بصحة الجسم والعناية بسلامته و الوقاية من الأمراض.
- التربية العقلية التى تهدف إلى تنمية العقول و إعمالها حسن استخدامها.
- التربية الأخلاقية التى تتجه إلى تنشئة الأفراد و تعويدهم بالأخلاق الفاضلة.

٣. و من أفكار الإمام التربوية التى تتصل بالمتعلم هى:

- رعاية الطفل منذ ولادته و العناية به حيث لا يبدأ الاهتمام عند بلوغه سن التعليم فقط. مؤسسا على هذه الفكرة يدعو الإمام إلى الاهتمام بالطفل و حماية نفسة من أخطار نفسه أو بيئته أو الآخرين، و تمكينه من التعليم الذى يتفق مع مواهبه و قدراته و استعداداته.
- كان تعليم الطفل نوعا من التوحيه و التوعية يعتمد على التلقين و التعريف بما هو صحيح و ما هو خاطئ، و تعويد الطفل على التزام العادات و الأخلاق السليمة و بث روح الائتلاف و التعاون مع الآخرين من خلال التلقى و التقليد و المحاكاة للآباء و الأمهات و كافة أفراد الأسرة.

- النواحى التربوية التى لا يد أن تتجه إليها التربية للأطفال عند مرحلة الطفولة هى: الناحية الدينية، و الناحية اللسانية و العقلية والاجتماعية، و الناحية البدنية والعسكرية. هذه المرحلة لابد أن تكون عامة وإجبارية للحميع بحيث تُسهم فى تنمية كافة جوانب النمو عند الأطفال و تساعد فى إعدادهم للمراحل التالية.
- ينبغى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين و مراعاة حدود قدرة كل فردحيث لا يكلف الفرد فوق طاقته و وسعه. بذلك يتجهاالتعلم إلى نوعية التعليم الذى يتفق مع ميوله و مواهبه و يتناسب مع قدراته و استعداداته عن رغبة و اقتناع.

٤. و أما أفكار الإمام المتعلقة بالمعلم -باعتبار أنه أحد دعاة الفكر الإسلامى الذين لهم الأثر فى نفوس سامعيهم- فهى أنه ينبغى أن تتوافر فى المعلم مجموعة من الصفات والمقومات التى تساعده فى أداء رسالته على أكمل وجه، كالإخلاص فى العمل، و الهيبة الشخصية، و قوة الفراسة، و الحلم و السماحة.

٥. و من أفكار الإمام التربوية فى المناهج و المواد الدراسية هى:

- الاهتمام بالتاريخ المشترك بين كافة أقطار الأمة الإسلامية تثقيفا للطلاب و توعية لهم بوحدة الأمة.

- الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة العلم و الدين.
- التدرج فى المناهج الدراسية من السهل إلى الصعب، و من البسيط إلى المركب لما فى ذلك من مراعاة لاختلاف القدرات و الإمكانات بين المتعلمين و مراعاة متطلبات كل مرحلة من مراحل النمو.
- الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم فى المراحل الأولى من التعليم. و ذلك إصلاحا لألسنة المتعلمين و تقويمها، و تربية لهم فى تقوية الإرادة و التعود على التحمل و الصبر.

٦. و من أفكار الإمام التربوية هى تقرير مبدأ الثواب و العقاب فى العملية التعليمية. فينبغى على المربى أن يجمع بين الترغيب و الترهيب فى عملية تأديب المتعلمين و تربيتهم.

الخاتمة

هذه هى بعض الدروس المستفادة من فكر الإمام محمد أتو زهرة التربوى. نسأل الله جل وعلا أن تثمر هذه الدراسة بالنفع الوافى و العلم النافع و السهم الفعال فى مواجهة الوضع التربوى الراهن ومعالجبه بل و فى حل العديد من المشكلات التربوية.

و الله خير الهادى و خير المستعان.....

المراجع و المصادر

أبو زهرة، الإمام محمد، **زهرة التفاسير**، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الكر العربى، ١٩٧٦)

_____، **الإمام الصادق؛ حياته و عصره- آراؤه و فكره**، (القاهرة: درا الفكر العربى، ١٩٩٤)،

_____، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (القاهرة: درا الفكر العربى، د ت)،

_____، **خاتم النبيين**، (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٣)

_____، **العلاقات الدولية فى الإسلام**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٥)

_____، **أصول الفقه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٤)

_____، **مقارنة الأديان والديانات القديمة**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٥)

_____، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٥)

_____، **ابن حزم حياته و عصره؛ آراؤه و فقهه**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٤)

_____، **تاريخ الجدل**، (القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٣)

عبد الرازق، أبو بكر، **أبو زهرة إمام عصره**، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٥)

عبد العال محمد، أحمد، تقديم مصطفى رجب، **الشيخ محمد أبو زهرة و فكره التربوى**، الطبعة الأولى، (القاهرة: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)

موسى، فؤاد محمد، **علم مناهج التربية من المنظور الإسلامى**، (القاهرة: دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)

عوده، محمد و يوسف، كمال إبراهيم، **الصحة النفسية فى الإسلام و علم النفس**، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٤)

وهدان، ناصر محمود، تقديم على الخطيب، **أبو زهرة عالما إسلاميا**، (القاهرة: شركة ناس للطباعة، ١٩٩٦)، ص ١٠

المواقع

www.qur'an-radio.com/pesones3.htm ، أبو زهرة.. عالم جريء جهر بالحق وندد بالباطل

http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/01/article20a.shtml ، أبو زهرة ,,, عالم يعرف قدره